# اللون ودلالاته في مجموعة
# ( عبر الحائط في المرآة ) لحسب الشيخ جعفر

**م.م. وسام محمد منشد الهلالي**
**كلية التربية / جامعة القادسية**

**الخلاصة:**
أن الالوان بمجموعها ، تحمل دلالات مختلفة، لها تأثيرها المباشر أو غير المباشر في الذات الشاعرة، ينعكس تأثيرها في تجاربه المختلفة في الحياة ،ومنها التجربة الشعرية،اذ تعد الالوان عنصرا مؤثرا وفاعلا في تجربة الشاعر ،فحينا يمثل اللون هوية الشاعر المفقودة وحينا يكون بمنزلة رمز مشخص، يعبر عن انفعالات الشاعر ،ومشاعره ،وحينا آخر يمثل اللون شكلا من أشكال التنفيس عن النفس، وفي أحايين أخرى تأتي ملازما للموقف الشعري ،اذ من خلالها يتضح المعنى ، ويستطيع الشاعر ايصال حقيقة مشاعره الى المتلقي، بوصف أن اللون يمثل جانبا من جوانب الصورة الفنية في تشكيلاته ،كل ذلك وقفنا عليه وتلمسناه في ديوان (عبر الحائط في المرآة) للشاعر حسب الشيخ جعفر.

**المقدمة :**
ان اختيار الالوان في الشعر يرجع الى دوافع متعددة منها :نفسية لاارادية ،ومنها عقلية ادراكية.ومن خلالها تأتي الالوان بدلالات مباشرة ،أو بدلالات رمزية قابلة للقراءة المتعددةبحسب جنس اللون،ودرجة تأثيره في المتلقي ،ومقدار مزاجية الشاعر ،وطبيعة الموقف والتجربة .
ومن خلال ذلك كله، تناولنا مجموعة شعرية وهي( عبر الحائط في المرآة) للشاعر حسب الشيخ جعفر ،وقفنا فيها عند دلالات الالوان، التي جاءت في أطرها الجديدة اي:
الدلالة المجازية للون .وقد كانت الدراسة على اساس:
١.**اللون في المنظور الشعري :** وفيه تناولت ماهية اللون ،ودوره في الوجود وتأثيره في النفوس ، وانعكاس ذلك الدور والتأثير على الاديب بشكل عام ،والشاعر بشكل خاص ،إذ يحمل اللون دلالاته الرمزية لديه ،بوصفه عنصرا فاعلا في تجربته الشعرية .
٢.**الالوان المفردة :** وفيها تناولنا اللون المنفرد في النص الشعري ،وقد بدأنا بالألوان الاكثر استعمالا وذكرا في هذه المجموعه ،بشكل تدريجي.
٣.**الالوان المركبة :** وهي أستعمال أكثر من لون واحد في النص ،وأحيانا نجد جملة لونية مركبة من لونين معا .
وقد أتبعنا المنهج التحليلي في الكشف عن المدلولات اللونية ،والعناصر الأخرى ، التي أثرت النص ،وأكسبته صفته الجمالية ، كحركة الافعال ، ومنظومة الاسماء، وظاهرة التكراروغير ذلك.

**١.اللون في المنظور الشعري:**
يعد اللون ذلك الانطباع ((الذي يولده النور على العين ،أي النور الذي يتم نشره وتوزيعه بوساطة الاجسام المعرضة للضوء))**(١)**
أن اللون عنصر من عناصر الكون التي تعد مفردة من مفردات الوجود وتبرز بوصفها مكونا من مكونات الجمال في حياتنا،والشعر بوصفه قيمة جمالية في ذاته يتخذ الصورة وسيلة من وسائل تأصيل ابداعه، وهذه الصورة تعتمد على وسائل تشكيل الالوان والخطوط للتعبير عن الحب والكره والحزن والفرح والبرودة والتوتر والسكون وغيرها.(٢)

ومن هنا نجد ان للالوان أثرا بالغا في النفوس ، يتفاوت بها التأثير من شخص الى آخر ، و في نفس الفرد كذلك .إذ إن هنالك أفرادا تؤثر فيهم الوان بعينها، على وفق الرغبة أو التجربة لذلك الفرد وخبراته في الحياة ، فضلا عن معان أخرى ترتبط وانفعالات النفس الانسانية وعواطفها اتجاه الالوان وتأثيراتها النفسية .

إن الالوان توحي بالانسجام أو بالصخب ،وبهذا تبدو تمثيلا حسيا لدواخل الشخصية وأفكارها وقد زودتنا اللغة العربية بأسماء كثيرة نفهم منها الالوان وتساعدنا على التمييز بين تدرجات اللون الواحد .(٣) إذ على مايبدو أن اللون ذو نفس فيزيائي لأنه ذو تأثيرات خاصة تترتب على أختلاف أطول الموجات الضوئية فتجعلنا نطلق أسماء عليها كالأحمر والأخضر والأصفر،إذ أن لكل لون من هذه ألألوان موجات ضوئية خاصة به ولايتم الشعور بها وإدراكها إلا تحت تأثير نور مسلط .(٤)

وكذلك ((الحال في الأدب شعرا ونثرا ،تؤدي الأضواء والألوان فيه دورا أبداعيا فنيا توضح المعاني وتجسمها ،وتضفي عليها الوصف الضوئي واللوني حركة وحياة تقربها من النفس و الروح ،وتهديها الى الإدراك مصوغة أجمل صياغة ، مشكلة منمقة، واضحة المعالم ،بينة التفاصيل ،بل قد يضفي اللفظ الأدبي على معاني الأضواء والالوان غموضا محببا شفيفا وسحرا خلابا اذ يموه المعاني في رمزية لطيفة أن احتاج الهدف الى تمويه))(٥)

ان اللون يحمل دلالاته الخاصة لدى الشاعر ،وذلك لانصهار الالوان بالطبيعة وما يتعلق بها . وان أنتقائية الشاعر للالوان في شعره ،يرجع الى مزاجية تفرضه طبيعة الموقف أوالتجربة الشعرية.

فاللون إذن يحمل دلالة بوصفه عنصرا فاعلا في تجربة الشاعر تنصهر فيه جميع الدلالات الحقيقيه والمجازية ويخرج اللون من دلالاته الوصفية الشكيلة الى دلالةعلى موصوف آخر وفيه يلح الشاعر ويومىء ويصرح ويلمح عفويا مرة وتصنعا عند آخرين،وفي الحالتين تكون إيماءات اللون معينا يستمد الشعر منه جزءا من طاقته.(٦)

إذ إن اللون إحساس يثير فينا حركة جمالية ناتجة من اتصاله المباشر بنا بوساطة ذبذباته المحسوسة أو اتصاله غير المباشر عن طريق الحركة الذهنية المثارة من الكلمات المستودعة والمنثورة بصفة إنتاجية في المبدع الفني ،وهي اللوحة التصويرية في القصيدة الشعرية ،وهو بهذا يعد المولد للصورة والمحقق لها تشكيليا ، ذلك لأنه يعد انفعالا وجدانيا من خلال الإحساس به في أثناء رسم الشاعر للوحته لابصفة التجريد ورمزية اللون بل بدلالاته الجمالية التي تساعد على الإدراك الأكمل لمكونات الصورة اللونية في التشكيل الشعري .(٧)

ان للألوان مؤشرات تزين النسيج الباطني للنص وهذا ينعكس من خلال حساسية الشاعر للألوان واستجاباته النفسية لها في انتقاء أشكالها من الطبيعة الحقيقية أو الاصطناعية أو الذهنية،ومهما كان نوعها فقد تسهم في اكتساب الصورة قدرة تأثيرية في سياق النص وتهب القارئ والمتذوق أثرا فاعلا،والألوان يتداولها الناس جميعا ،ويبقى للشعراء خصوصية التشكيل والتعويض والقلب ،مستفيدين من الفنون البلاغية.(٨)

وقد يلجأ ألشاعر إلى المفارقة في تحديد الألوان وذكرها ،فهو لا يذكر الألوان ليدل فيها على المسميات المتعارفة ، إنما يتلاعب بدلالات الألوان مما يدلل ذلك على قدرة الشاعر في فهم دلالة اللون وما يخرج فيه إلى معان أخرى.

ويأتي دور اللون بوصفه مثيراً أساسيا في عملية الخلق. أي انه مظهر من مظاهر الحياة الجمالية المعنوية والحسية التي لها أثرها في مشاعر ألإنسان وحياته النفسية وإحساسه باللذة في الحياة إذ ينعش فيها العاطفة ويوقظ المشاعر ويثير الخيال.(٩)

فالألوان وألفاظها أكتسبت بمرور الزمن إلى جانب دلالاتها الحقيقية دلالات اجتماعية ونفسية جديدة نتيجة ترسبات طويلة أو ارتباطات بظواهر كونية أو أحداث مادية نتيجة لما يحمله اللون ذاته من قدرات تأثيرية وما يحمله من إيحاءات معينة تؤثر على انفعالات الإنسان وعواطفه.**(١٠)**

والألوان عند الشاعر ((ليست مجرد مدركات حسية بصرية محددة، وإنما هي شتيت من الإيحاءات والمعاني المبهمة والمحيرة في كثير من الأحيان، فنراه حين يستخدم ألوانه لايضعها في إطارها المألوف دائماً)) (١١) وإنما يضعها في أطر جديدة تدلل على مقدرته الفنية في رسم اللوحات والصور الشعرية.إذ إن الشاعر الذي يخبرنا بأن النخلة خضراء والعشب اخضر والوردة حمراء لايأتي بالجديد، وهذا المعنى هو الذي سنركز عليه في دراستنا لشعر حسب الشيخ جعفر في مجموعته الشعرية (عبر الحائط في المرآة).

**٢ .الألوان المفردة**

يعد اللون الابيض في مقدمة الالوان التي استعملها الشاعر حسب الشيخ جعفر في مجموعته الشعرية (عبر الحائط في المرآة) .وهذا اللون هو اساس الالوان ،منها تخرج الالوان جميعها ،وهو يمتلك طاقات كبيرة جعلته يكاد يفوق سائر الالوان جميعها .(١٢)وقد حمل هذا اللون عند الشاعر حسب الشيخ جعفر دلالاته الرمزية .

يقول الشاعر :(١٣)

**أذكر بضع شموع فوق الرفِ ،**
**وتُشعلُ واحدةً،في الضوءالراعش ينكشفُ**
**السقف البالي وتلوحُ الكوة ،قرب سريرِ**
**أبيض طاولةٌ وزجاجةُ خمرٍ ،في الأعلى يتخافق وطواط ،**
**وأنين الريح تلقاني في ضوء النجمةِ، في الليل الآتي.**

يسرد لنا الشاعر في هذا النص ذكريات الماضي المفعمة بالحياة والبهجة فهو يبتدأ بكلمة (أذكر )،إذ يتذكر الشموع التي على الرف والأنارة،.....وغيرها ألى أن يذكر لون سريره (الأبيض) ،يبدو ان اختياره لهذا اللون نابع من إن هذا اللون ((يترك في النفس جواً من الطهر المثالي الذي لايبلغه الانسان في رجسه ودنسه، وفي البياض هدآة وسكينة ))(١٤)وصفاء وسلام.

وهي معان تنسجم مع ماضي الشاعر المزهو ،فماضيه فيه (شموع ،وضوء وأنكشاف للسقف: أي بروز وإبانة). فلا بد إذن من أن يكون لون سريره ابيض يدل على السكينة والسلام والنور.إذ ان هذا اللون أدى وظيفته في إتمام المعنى وتكامله ،وخرج بدلالته الموحية على ذلك.

فلم يرد الشاعر المعنى الظاهر أي أن لون سريره أبيض .وإنما كان اختياره لهذا اللون للمعاني التي ذكرت.

وفي مكان آخر يقول الشاعر: (١٥)

**في أمطار المدن الليلة توقضني من نوميَ**
**دقاتٌ وخطىً تتباعدُ،أتبعُها في الأروقة البيضاء.**

في هذا النص الشعري امتزجت لوحتان متضادتان الاولى تمثلت في اللون الاسود معنوياً في قوله:(في امطار المدن الليليه) والثانيه تمثلت بالبياض في قوله : (اتبعها في الاروقة البيضاء) فاللون الابيض هنا لم يقصد به الشاعر بمعناه الظاهري .اي بدلالاته المعروفة إنما كان هذا اللون في هذا المقطع يعبر عن بصيص من الامل لدى الشاعر عندما اراد ان يبحث عن افكاره في الاروقة المضيئة إذ يحاول استعادة هويته الضائعة في (ظلمة الليل )،أي في الهواجس المظلمة والروح المكتئبة ،فكان اختيار هذا اللون تعبيرا عن دافع نفسي حاول من خلاله الشاعر أن يحمل الهدوء والسكينة محل حالة الاضطراب التي تخيم على نفسه ،والتي جعلته في سبات ونوم .

ومن الابيض قوله ايضا: (١٦)

**أجَّمعُ ملء يديّ سهوبَ القش**
**وبردي الماء العاري ، ولهاثاً تُطلقهُ طاحونةُ ريفٍ**
**نائية ونباحاً أبيضَ ملء يديَّ أجمعها.**

يخلق لنا الشاعر في هذا المقطع صورة شعرية ،تصور مشهداً ريفياً ،إذ يعود الشاعر الى ماضيه المفعم بالحياة والعنفوان . والشيء الملفت للنظر هو أن اختياره للون الابيض جاء مناسباً لهذا الجو ،الذي ملؤه السلام والسكينة .فكان اللون هنا منبعا من منابع الطبيعة (سهوب القش ،الماء العاري ،طاحونة ريف +النباح)كل ذلك عبر عنه اللون الابيض في مترابطات ترتبط مع بعضها في الدلالة العامة .

ومن الالوان الاخرى التي لاتقل أهمية عن اللون الابيض،هو اللون الاخضر ثاني الالوان استعمالا في هذه المجموعة .والأخضر هو لون الحقول الخصبة ،لون الامل والحياة ،الباعث على الطمأنينة والسكون والراحة(١٧) .فهو لون الطبيعة يوحي بالراحة ،ويسمح للوقت أن يمر سريعاً ويساعد الانسان على الصبر ، لذا فقد أستعمل في معالجة بعض الامراض العقلية مثل تعب الاعصاب (١٨).

يقول الشاعر حسب الشيخ جعفر :(١٩)

**بيننا أكثر مما بين جرفٍ**
**أخضرٍ ونخلٍ ،أكثر مما بين**
**سكين وجرحٍ غائرٍ ،**
**أكثر ممابين دودٍ جائعٍ وجثةٍ .**

يقدم الشاعر في هذا المقطع معادلة فنية ،ومفاضلة قائمة على اساس (الكثرة )التي يقصد من ورائها المودة والمحبة ،فالمعادلة تبدأباللون (الاخضر)المقابل (للنخلة)التي هي بطبيعة الحال خضراء أيضا يضاف الى(السكين)المقابل (للجرح الغائر)ثم (الدود الجائع) المقابل للجثة . إذن فالعلاقة بين هذه المترابطات علاقة وثيقة، أي علاقة أثر ومؤثر ، علاقة سبب ومسبب ،علاقة صفة وموصوف فالاخضر مثلا صفة لونية للنخل .والسكين هي المسبب للجرح الغائر ،والجثة هي التأثير الطبيعي الذي يتأثر به الدود الجائع .أي علاقة جوع وطعام .

فقد أدى اللون الاخضر وظيفة تشكيلية جرت مجراها الصور الاخرى في المقطع الشعري هذا ، من حيث أداء الدلالة . إذ يعد هذا اللون من الالوان الأساسية على المستوى التشكيلي ويحظى بأهمية متنوعة وواسعة ومنفتحة في الاستخدام إذ ان الدلالات التقليدية التي تعبر عنها صفته اللونية تتلون بتلون الموصوف .

وثالث الالوان أستعمالا في مجموعة الشاعر اللون الاحمر .وهو من الالوان الحارة ،فهو لون الدم الذي يمثل الحياة للانسان وهو رمز لقوة الشباب المتفجرة حيوية وعلى الحب الحارق وهو أقوى الالوان لفتاً للنظر .(٢٠)

يقول الشاعر حسب الشيخ : (٢١)

**هاهي تحملٌ زاداً وتصبٌّ نبيذاً أحمر**
**في القدحين ،ندخن نشربُ**
**نخب تعارفنا .**

ولأن الاحمر هو لون الحب والاثارة والانفعال ،فقد اختاره الشاعر هنا لينسجم مع موقفه الرومانسي ،إذ يعد الاحمر ((رمزاً للعواطف الثائرة والحركة والحياة الصافية والمبدأ الخالد وشهوة الحب والنشوة العارضة ))(٢٢).

فكان اللون الاحمر صفة لونية للنبيذ ،ومثلما هو نقطة اتصال شعرية بين شخصين هما الشاعر الراوي ،والمرأة التي تحمل الزاد والنبيذ ،من نحو ما في الشكل الآتي :

الشاعر الراوي ←هاهي تحمل( المرأة) ← نبيذا أحمر ← ندخن (الشاعر +المرأة) ←نشرب (الشاعر +المرأة ) .

ومن الالوان البارزة الاخرى ،استعمال الشاعر للونين الاسود والازرق في هذه المجموعة ، وبدلالات لا تقل أهمية عن الالوان التي ذُكرت مسبقاً .

فمن اللون الاسود قوله : (٢٣)

**تسمـــــــع**
**طرقاً فوق الباب البلوري النائي ،مندفعاً**
**خلفي ،وأنا بخطاي**
**أدور على أحواض الزهر ،وأسحب ذيل ردائي الأسودِ**
**فوق الثلج**

يصور لنا الشاعر في هذا المقطع ، لحظات آنية متسارعة تنبثق في آن واحد ، بواسطة منظومة الافعال المضارعة (تسمع أدور أسحب) فهذه الافعال تعمل على العرض المباشر في الحاضر للحدث أو الواقعة الشعرية ،إذ تتشاكل فيما بينهما ،وتنمو نمواً درامياً وسريعاً ،الى أن تصل الى اللون الاسود ،الذي هو نقطة الالتقاء . أما منظومة الاسماء (طرقاً ،ذيل ردائي ) فإن عملها يأتي مصاحباً لعمل الافعال ،وما تقوم به بمساعدة الافعال من مستوى حركي كذلك ما تقوم به منظومة المكان (الباب _ أحواض الزهر _ الثلج ) بمساعدة الافعال ( فوق، ادور ) وكذلك بمساعدة الاسماء .

ثم تاتي منظومة الالوان (البلوري النائي +الاسود )لتدل على توافق الدلالات فيما بينها وإن كانت بشكل غير مباشر ، إذ إن البلوري النائي هو نفسه الاسود ،لأن اللون البعيد (النائي )لايرى منه غير ظلال أو شبه ظلال ،بسبب البعد الذي يشكل بدوره العتمة المائلة الى السواد ، وهو مما يعني ذلك أنّ منظومة الالوان هذه كانت مفتاح هذه الشبكة الشعرية .

ومن استعمال اللون الاسود قوله : **(٢٤)**

**هل أطلب شيئاً آخر ؟**
**تسمع رقصتها الأولى ،تتذكر**
**قهوتها السوداء .**

أما اللون الازرق ،فله أهميته ودلالاته في نفس أغلب الشعراء ،لانه لون القوة والهيمنة المتمثلة بالطبيعة فهو لون السماء ولون النار ،وكلنا يعرف اللهب الازرق وقوته . وهو يشارك الابيض في صفاته ولا سيما صفة الطهارة وعدم الخضوع والصفاء والنقاوة التي تبدو سامية وخاصة لكل ماهو سماوي ،لذلك لا عجب أن يعني الصبر والانتظار والثقة والاحترام ، مثلما يعد قانوناً ورشداً ورمزاً عند كثير من الناس للوفاء والاخلاص. (٢٥)

وقد كان للون الازرق دور بارز في مجموعة( عبر الحائط في المرآة ) ، إذ لم يقف استعماله على دلالة واحدة ،وإنما اختلفت دلالاته من مقطع شعري الى آخر .ومن قصيدة الى أخرى .

قال الشاعر حسب الشيخ جعفر : (٢٦)

**هذي البنتُ الواسعةُ العينين أتأتي يومياً**
**(يومياً يأتي الكهلُ بهاء ،أو تعجبكُ العينان**
**الزرقاوان)**
**وتضحكُ ،**
**(يمكن أن تدنو منها وتحدثها**
**فأبوها هذا يُضجرهُ أن يصحبها**
**في نزهتها الليلية .) لكن في عينيها الواسعتينِ**
**أسى ،أتراها عاشقةً ؟ (لاأعرف شيئاً ،لكني**
**أتصور أن البنت تواصل نزهتها من أجلكَ.)**
**من أجلي ؟....**

**(أأجيء بكأسٍ ثالثةٍ ؟)**
**وأحدق في العينين الغائمتين ،أرى مطراً**
**وقبائل توقد نيراناً ،وكهوفاً يكشفُ**
**عنها البرقُ ، أرى الالق المتراكض فوقَ**
**البحر وتخبو الشمسُ على الصلبان ،تولولُ**
**في الساحاتِ الريحُ، وتغرقُ في النوم**
**الثلجي تخومُ الغابِ وتصحو ، ثانيةً أتلمسُ**
**هذا البابَ وآخذُ زاويتي ،أترقب آبَ**
**المطر عبر زجاج المقهى .**

في هذه اللوحة الشعرية نجد ارتباط اللون الازرق،ارتباطاً مباشراً بعنوان القصيدة (الزرقة الهامسة ).ويبدو أن الشاعر هنا يؤدي دور الراوي العليم ، الذي يسرد لنا حكاية الفتاة ذات العينين الزرقاوين ، التي تأتي يومياًمع ذلك الشيخ الى الحانة .

ويظهر أن اللون الازرق هنا يمثل مر كز الدلالة التي منه تتشظى الدلالات النوعية الاخرى نتيجة شغف الشاعر بالعينين الزرقاوين اللتين أصبحتا بؤرة شعرية مولدة لأبعاد رمزية متعددة وبخاصة بعدما يعطي الشاعر للون الازرق معنى آخر وبدلالة رمزية ايحائية تتعلق بقرينة مانعة من ارادة هذا المعنى . إذ ينتقل الشاعر من العينين الزرقاوين الى العينين الغائمتين .

أي العينان المحملتان بكل الخير والجمال والخصوبة كما الغيمة المحملة لكل ذلك وهذا ما اشار اليه بقوله : (أرى مطراً وقبائل توقد نيراناً....ألخ) . وما تلك الصور الشعرية المتلاصقة الا ردة فعل طبيعية تركها التأثير الايجابي للون الازرق في مخيلة الشاعر . فضلاً عن ذلك فأن الدور الذي تؤديه الجمل الاستفهامية ، لا يقل أهمية عن دور اللون الازرق في رفد المعنى بالدلالة المكتنزة الموحية ،التي أحياناً تجد لها اجابة كما في قوله : (أتأتي يومياً؟ يومياً يأتي الكهل بها ) . وأحياناً لاتجد لها أي جواب ،وكأن الشاعر يستنكر الاجابة من نحو قوله : (أتراها عاشقة ؟ لا أعرف شيئاً ).

واستعمال الشاعر للاستفهام ،جعله يستقر في شبكة اللون الازرق ، الذي ((يمزج في انتاج قيمته بين البعدين التشكيلي والسايكولوجي ، لكن قيمته في الاعتبار العام غير مستقرة ومرهونة بسايكولوجية الحال الشعرية من جهة وانعكاس ذلك على الاداء الحيوي المادي ....من جهة اخرى )) (٢٧)

أحياناً نجد ان اللون الازرق يحمل دلالات أخرى موحية على التشاؤم عند الشاعر حسب الشيخ جعفر ، ربما بسبب حالة سايكولوجية أو أن الموقف الشعري يقتضي ذلك .

يقول : (٢٨)
**نلمُّ انتظاراتنا**
**في المحطاتِ ، والزرقةَ المستحيلةَ ،عدنا**
**نواصل رحلتنا الحجرية ،والسُّلمُ المتعرج**
**مهبطنا .**

فالهزة ((السايكولوجية للالوان متولدة من تمثيل الاشياء بألوان عرفت بها من قديم الزمن . فبعض درجات اللون ...[الازرق] قد تكون ذات تأثير سيء أو ضار لدى بعض الاشخاص إذ يؤدي عندهم الى الوهم والقلق والاضطراب ،في حين يذكرّ البعض الاخر بالطبيعة ....والحياة والخصوبة فيوحى لهم سايكلوجياً بالراحة والصبر والنمو والامل )) (٢٩)

ومن هنا فقد تحولت دلالة اللون الازرق عند شاعرنا هنا الى دلالة منغلقة . وهو قوله : (الزرقة المستحيلة ) التي أفضت الى معوقات أخرى هي مستحيلة أيضاً . وكأن الشاعر يريد أن يحجر المعنى بأكمله ويزيد من عدم تفاؤله ،كما في المخطط الآتي ، الذي يشرح لنا ذلك :

(الشاعر ) نلم ← الزرقة المستحيلة ← رحلتنا الحجرية ← السلم المتعرج

فالزرقة مستحيلة ،والرحلة حجرية خالية من كل معاني الخصب والحياة، والسلم الذي هو نهاية الرحلة (المهبط) متعرج وغير مستقيم .

وهو تأكيد آخر على التشاؤمية في هذا النص . فكان الازرق هنا انتقالة الى معنى مقابل للمعنى المتعارف والذي استعمله الشاعر في النص السابق لهذا النص .

ومن الالوان الاخرى التي استعملها الشاعر حسب الشيخ جعفر في هذه المجموعة بعد الازرق اللون الاصفر . وغالباً ما يكون ((صاحبه حساس جداً فهو مهدد دائماً بفقدان صفاته وميزاته وهو ما يجعله ذا صفة حركية وتعددية في علاقاته ، فهو لون الحسد والغيرة ،كما يعني الخيانة )) (٣٠)

والمرض ورمز للحبوب الناضجة والذهب . (٣١)

يقول الشاعر : (٣٢ )

**وأغرق تحت غطائي ساعاتٍ في النوم،**
**وتدفع بي خطواتي في الطرقات ، وحين تعيد**
**الأمسية المتلاشية الصفراءُ الملاحين**
**الى الشُطان ودفء المنزل يدعوني بارٌ .**

يستعمل الشاعر هنا صفة لونية لتلك الامسية المتلاشية ،وهذه الصفة هي اللون الاصفر الذي توافقت دلالته مع دلالة (الغرق،و النوم ) .

وهذا يعني ان صفة اللون الاصفر قد تفاعلت بحيوية مع سياق النص ، الباعث على الاغراق في النوم. أي :أراد القلق الذي يمثله النوم كما الغرق ، فضلا عن التلاشي المطبق للأمسية ،كل هذا حدا بالشاعر الى التعبير بسايكولوجية الالوان ،واختار الاصفر ولم يختر الاسود مثلا بوصفه لون المساء المعروف او أي لون اخر . لانه من صفات اللون الاصفر التلاشي والانقباض وعدم تركيز الاهتمام على الاشياء والمسميات . وكذلك المرض. (٣٣)لذا نجد الشاعر يلمح الى ذلك في قوله : (وتدفع بي خطواتي ) وهذا يعني ان الخطوات هي التي تقوم بفعل المشي لا الأرجل ، فهو منهك ومتعب لا يقوى حتى على القيام والمشي .

وقريبا من هذا المعنى ، يقول الشاعر .(٣٤)

**أتتبـــع رجعَ خُطاكَ ، وأترُكُ عنواني :**
**في أوراق الشجر المصفرة**
**أكتبهُ فوق الثلج المتساقط**
**أنثرهُ فريـــداً.**

فصفة أوراق الشجر هي الاصفرار ، والاصفرار معناه المرض والهرم ثم الموت ، وقد قدم الشاعر هذا المؤدى الشعري عبر أربعة أفعال مضارعة ، وهي: (أتتبع، وأترك ،وأكتبهُ ، وأنثرهُ ) ،تنامت مع بعضها بشكل تدريجي ،من تتبع ثم ترك ثم كتابه ،الى النثر .وقد كان اللون الاصفر فعالا في عمله الدلالي منذ مرحلة التتبع وصولا الى المرحلة الاخيرة وهي النثر ،لأنه جاء مصاحبا لمفردة (العنوان) بوصفه هذا اللون هو خصيصة المكان أو المأمن الذي فيه يترك العنوان ومنه ينطلق الى الكتابة فوق الثلج ،ثم النثر بعيداً .

أما آخر الالوان المفردة التي جاءت في هذه المجموعة ،فهواللون (الوردي) ،إذ ذكر مرة واحدة فقط .

يقول الشاعر: (٣٥)

**أتركها تتسربُ بين يديَّ ممدةً**
**قربي أو عابرةً تبسمُ لي**
**في حجرتها الورديةِ**

**في خانِ هرمٍ ،**
**تتدفأ قرب النار**

بهذه الكلمات رسم الشاعر لوحة شعرية ،كان للمكان دور بارز فيها ،إذ تحدث عن تلك المرأة التي كانت :

بين يديَّ ←قربي ←( في حجرتها ) ←في خانِ ←قرب النار.

فقد كانت هذه الاماكن وسائل التي يشرح من خلالها الشاعر تفاصيل تواجد هذه المرأة وإن كانت الحجرة الوردية هي المركز بوصفها تقع في الخان الهرم ، وفيها كانت المرأة بين يديه وقربة وكذلك قرب النار أي انها احيانا تكون قربة وأحيانا عابرة كما يقول (تتدفأ قرب النار ) ، إلاّ أن جمال الصورة تتكامل وتتنامى مع تكامل وتنامي تلك الاماكن .ويبدو ان وردية الحجرة ،أعطى وردية عامة للاماكن التي ذكرها المعنوية كاليدين ، وقربة مثلا ،والمادية كالحجرة نفسها والخان ، وموقد النار.

الذي حذفه مجازا ذاكرا النار فقط . فأعطى هذا اللون بعدا سايكو لوجيا فعالا في تأدية المعنى ، وربما التأثير في الملتقى .

إذن مما تقدم يمكن القول : ان الالوان المفردة جاءت في النصوص الشعرية ، بدلالات مختلفة على الرغم من ان اللون هو نفسه (الابيض) مثلا او (الاخضر ) او (الازرق) او غير ذلك . فعالج اللون ازمة نفسية ومرة ادى وضيفة تشكيلية وأخرى كان اداة رمزية .

## ٣-الالوان المركبة :

بعد ان ذكرنا الالوان المفردة التي ذكرت في مجموعة (عبر الحائط في المرآة ) .نتناول الان الالوان المركبة في المجموعة نفسها .ونعني بالالوان المركبة ذكر اكثر من لون واحد في النص .

فمن ذلك قول الشاعر: ( ٣٦)

**أترك عنواني في أضواء الغسق المتلاشي**
**فوق الثلج وأضرحةَ الموتى الذهبية**
**في أصباغ الراقصة البيضاء**
**وفي هالات الزُرقةِ حولَ الأعينِ ،أتركهُ**
**في بضع نقاطٍ من ماءٍ تبتلُ بها امرأةٌ**
**في معطفها المطري .**

في هذا النص جمع الشاعر بين ثلاث صفات لونية وهي : (الذهبي(القريب من الأصفر ببريقه) ،والابيض ،والازرق ). وهذا التنوع اللوني ،يوضح لنا ان النص بأكمله اعتمد اللون بوصفه مفهوما شاملا في التعبير عن المعنى .أي أن اللون خرج هنا من كونه مفهوما خاصا الى أن دخل في مكونات الصورة ، بوصفه معطى مؤثرا جديدا من معطيات النسيج الصوري للنص . الذي تشكلت فيه مفردة (عنواني )بؤرة الدلالة الذي انطلقت منه دلالات الالوان . فمرة نجده (العنوان) في (أضرحة الموتى الذهبية )،ومرة نجده في (اصباغ الراقصة البيضاء ) ،ومرة في (هالات الاعين الزرقة ). وهذا التنوع اللوني يرمز للدلالة المركزية للون . فقد ادت هذه الالوان مجتمعة دورها مبتدءة بالفعل (أترك)، ومنتهية به أيضا.

أترك ← الذهبية + البيضاء+ الزرقة ←أتركه .

وقد جمع الشاعر في مكان آخر بين اللون الاشهب واللون الابيض

يقول : (٣٧)

**تنهض في بطيء ،وتلفُ على كتفها**
**الشالَ،وينحدر الفرو الذئبي ثقيلاً**
**أشهب ، تنبحُ في الساحات الخاليةِ**

**الريح البيضاء ،ويجفلُ في الشرفاتِ**
**الطيرُ الحاكم يرتعش لنغم الشتوي**
**الناحلُ فوق سطوح عاليـــةٍ.**

لقد جمع الشاعر بين اللونين (الاشهب والابيض ) .وقد أكسب اللون دلالته من خلال شعرية التشخيص التي مارسها الشاعر على مفردة (الريح ) ، فأخرجها من دلالاتها المعنوية الى الدلالة المادية المشخصة ،إذ ان للريح ( نباح ) وقد كان اللون الابيض أمتدادا للون الاشهب ،لون الفرو الناري ، الذي يمثل لونه أنعكاساً للحرارة والنار والحمرة ،فهو لون الشهاب الناري ،من أجل مقاومة الزحف البارد للريح التي وصفها الشاعر بالبيضاء .أي الثلجية .وأعطاها صفة( النباح ) أيضاً لتأكيد شدتها وقساوتها . وقد أكد هذا التقابل الدلالي اللوني تساوي طرفي المعادلة اللونية المؤدى الشعري للصورة .

ومن الالوان المركبة عبارة( الخضراء النارية ) ،وهذه العبارة تعد من المشخصات الرمزية الأخرى في هذه المجموعة تضاف الى مفردتي (العنواني والمرأة ) .فقد كرر الشاعر هذه العبارة في هذه المجموعة –ثماني مرات ،وبدلالات مختلفة .

يقول في قصيدة (رغبة تحت الشجر النحيل ) : (٣٨ )

**وحين أدير اليك الطرفَ**
**وأبعث عن قربٍ إحدى نظراتي**
**الخضراء النارية يشحب منك اللونُ ، وتبقى كالمتسمر**
**لا تخطو نحوي أو تبسم لي وتكلمني .**

فنظرات الشاعر خضراء نارية ، فالأخضر هو لون الحقول والنماء ،فهو لون بارد ،والناري هو مأخوذ من الأحمر لون النار الملتهب ،فكلا اللونين متضادٌ من حيث الدلالة ،ولكنهما اجتمعا معاً في موصوف واحد ،هو (النظرات ) ،فالنظرات باردة ساخنة في الوقت نفسه .ولها قدرة التأثير على الالوان الأخرى ،عندما تسلط عليها ،وهو ما قاله الشاعر في (يشحب منك اللون ) .

وفي نفس المعنى يقول : (٣٩)

**ها أنا أسمع أمرأةً ....**
**تسرِّح في الكوخ الناري**
**لكني وأنا أتسللُ ، مسكَ من نضراتي**
**الخضراء النارية شيء .**

هذه النظرات (الخضراء النارية ) ، تؤدي دور المعادل الموضوعي من حيث أداء الدلالة ، إذ كانت هذه النظرات رد فعل للموج الناري ويقصد به الشعر الممزوج لتلك المرأة التي تحاول تسريحه بمشطها .

ومفردة الموج تحمل دلالة (الماء) أو (البحر ) ،ووصفه الشاعر بالناري ، دلالة على هيجانه وكثرة تعرجاته . فكان مناسباً أن يستأنس الشاعر بالتركيب اللوني (الأخضر +الناري) .

فالأخضر مقابل الموج من حيث الدلالة ،والناري مقابل النارية من حيث الدلالة أيضا .

ومن ذلك قوله أيضاً : (٤٠)

**أنشر عنواني في ذرات الريح الرملية**
**في نيران القش ،**
**وأكتبهُ فوق الثلج المتساقط أخضراً نارياً .**

لقد ذكر الشاعر مفردة (العنوان) ،وهي تمثل المشخص الرمزي ،الذي ورد ذكرة وتكراره مسبقا.وفي هذا النص نجد العنوان في (ذرات الريح ،ونيران القش ،وفوق الثلج) ،وقد وصفه الشاعر بالأخضر الناري .

وبعد أن كان هذا التركيب اللوني صفة ملازمة لل(نظرات ) ،كما مرّ سابقا فإن الشاعر هنا ينتقل بهذه الصفة اللونية الى موصوف آخر وهو (العنوان) .وربما أن السبب في ذلك هو القلق ،أو عدم الاستقرار النفسي عند الشاعر .أو قد يكون هذا التركيب اللوني اكتسب دلالة عامة وشاملة ،راح يكررها ويذكرها الشاعر في قصائده ،فدلالة هذا المركب اللوني أعمق واشمل من مدلولات المشخصات المذكورة في هذه المجموعة ،كالمرأة ،والعنوان ، والنظرات ،وغيرها .وعند التدقيق أكثر نجد مايأتي :

نيران القش = ناري ، وفوق الثلج = اخضر .

فالتوافق الدلالي واضح في كلا الطرفين .

## الخاتمة :

لقد توصل البحث الى جملة من النتائج يمكن إجمالها بما يأتي :

١- اكتسب اللون دلالته الفنية بوصفه عنصرا فاعلا في تجربة الشاعر، امتزجت فيه جميع الدلالات الحقيقية والمزاجية

٢- أدى اللون وظيفة تشكيلية في بنية الصورة الفنية للنص الشعري ،سواءً في مستوى الألوان المفردة أم المركبة .

٣- عبر اللون عن شيء من ذات الشاعر الباطنية ،وعن جانب من مكوناته الداخلية ،فمثلا عبر الشاعر من خلال اللون عن معنى يترك في النفس جوا من الطهر والسكينة ،كما في اللون الأبيض ،ومرة عد اللون تعبيرا عن أمل مفقود يستعيد الشاعر من خلاله هويته وذاته الضائعة ،كما في الأبيض أيضا .

٤- أحيانا يؤدي اللون وظيفة رمزية ،يرمز بها الى بعض المدلولات الداخلية والخارجية .كالعواطف وحركة الحياة ،كما رأينا ذلك في اللون الأحمر .

٥- قد ترتبط دلالة اللون بعنوان القصيدة ارتباطا مباشرا،مما يعكس ذلك تأثيراته في النص.

٦- وجدنا أن منظومات الجمل الفعلية والاسمية ،أسهمت في بناء الصورة اللونية ،وساعدت على تنامي الإحداث .

٧- بعض المفردات مشخصات رمزية ،لها أهمية في رفد الدلالة اللونية ،وبناء الحدث واستمرار يته من هذه المفردات : (المرأة ) و(العنوان) ،و(النظرات) ،وعبارة (الأخضر الناري ) الذي أسهم في جعلها من المشخصات الرمزية ضمن : ظاهرة التكرار الملفتة للنظر .

٨- لم يقتصر الشاعر على توظيف الألوان الأساسية فقط، وإنما جمع بين الألوان الأساسية والثانوية ، كما في الأبيض والأشهب.

## الهوامش

١. الضوء واللون ،فارس متري ظاهر /٥
٢. ينظر: تقنيات التعبير في شعر نزار قباني ،بروين حبيب/٢٢١
٣. ينظر لغة الألوان ،شفيق جبري /٢٠٠-٢٠١
٤. ينظر: التخطيط والألوان ،كاظم حيدر /١٨٠
٥. الصورة الشعرية عند عبد الله البردوني ،وليد المشوح /١٨٣
٦. ينظر :دلالة اللون عند شعراء البصرة ،صدام فهد الاسدي /٨٣
٧. ينظر :الصورة اللونية في شعر ابن زقاق البلنسي ،صالح ويس محمد /٨
٨. ينظر :دلالة اللون عند شعراء البصرة /٨٣
٩. ينظر :الصورة اللونية في شعر السياب ،شاكر هادي التميمي /١١٢
١٠.ينظر :الدلالات الاجتماعية والنفسية لألفاظ الألوان في اللغة العربية، احمد مختار/٢١
١١.قراءة الوعي الأدبي ،دراسات تحليلية في الأدب العربي المعاصر،محمدمصطفى/٢٤-٢٥
١٢.ينظر:سايكولوجيا إدراك اللون والشكل ،قاسم حسين صالح /١٦٦
١٣.ديوان (عبر الحائط في المرآة) ،رغبة تحت الشجر النحيل /١٠٥-١٠٧

١٤.الرمز والرمزية في الأدب العربي الحديث ،أنطوان غطاس كرم /٩٥
١٥. ديوان (عبر الحائط في المرآة ) رغبة تحت الشجر النحيل /١١٣
١٦. ديوان (عبر الحائط في المرآة ) رغبة تحت الشجر النحيل /١٢٧
١٧.ينظر :اللون النظرية والتطبيق ،شامل عبد الأمير /٨١
١٨. ينظر :نظرية اللون ،يحيى حمودي /١٣٦
١٩.ديوان (عبر الحائط في المرآة) الرقصة المؤجلة /٤٦
٢٠.ينظر :الألوان نظريا وعمليا ،إبراهيم دملحني /٦٩
٢١. ديوان( عبر الحائط في المرآة ) ، قصيدة عبر الحائط في المرآة /٥٩
٢٢.الرمز والرمزية في الأدب العربي الحديث /٩٣
٢٣. ديوان( عبر الحائط في المرآة ) خيط الفجر /١٢٠
٢٤. ديوان( عبر الحائط في المرآة ) خيط الفجر /١٢٠
٢٥. ينظر :الألوان نظريا وعمليا /٧٠-٧٩
٢٦. ديوان (عبر الحائط في المرأة)الزرقة الهامسة /٣٨-٤٠
٢٧.المتخيل الشعري ،محمد صابر عبيد /١٦٥
٢٨.ديوان (عبر الحائط في المرآة )هبوط ابي نواس /٨٧
٢٩.نظرية اللون /١٣٢-١٣٥
٣٠.الألوان نظريا وعمليا/٩٦
٣١.ينظر :الألوان نظريا وعمليا/٦٨
٣٢.ديوان (عبر الحائط في المرآة) ،التحول /١٤
٣٣.ينظر :الألوان نظريا وعمليا/٦٨
٣٤.ديوان (عبر الحائط في المرآة) ،خيط الفجر /١١٤
٣٥.ديوان (عبر الحائط في المرآة )،خيط الفجر / ١٣٠
٣٦.ديوان (عبر الحائط في المرآة)،خيط الفجر /١٢٧
٣٧.ديوان (عبر الحائط في المرآة)،عبر الحائط في المرآة /٥٥
٣٨. ديوان (عبر الحائط في المرآة)/١١٥
٣٩. ديوان (عبر الحائط في المرآة)،رغبة تحت الشجر النحيل /١١٩
٤٠. ديوان (عبر الحائط في المرآة) ،رغبة تحت الشجر النحيل /١٢٩

## المصادر :

**-الكتب**


- الألوان نظريا وعمليا ،بحث علمي جمالي ،إبراهيم دملنحي ،دار القلم ، ط١ ، بيروت ،١٩٧٩
- التخطيط والألوان ،كاظم حيدر ،مطابع جامعة الموصل ،١٩٨٤.
- تقنيات التعبير في شعر نزار قباني ،بروين حبيب ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ،بيروت، ١٩٩٩ .
- الدلالات الاجتماعية والنفسية لألفاظ الألوان في اللغة العربية ،احمد مختار عمر ،الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات ،تونس ،١٩٦٨ .
- ديوان (عبر الحائط في المرآة ) حسب الشيخ جعفر ،دار الحرية للطباعة ،الجمهورية العراقية ،المكتبة الوطنية ،بغداد ،١٩٧٧.
- الرمز والرمزية في الأدب العربي الحديث ،أنطوان غطاس كرم ،دار الكتاب ،بيروت ،١٩٤٩.
- سايكولوجية إدراك اللون والشكل ،قاسم حسين صالح ،دار الرشيد للنشر ،بغداد ،١٩٨٢.
- الصورة الشعرية عند عبد الله البردوني وليد المشوح ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ط١ ، دمشق ،١٩٨٩.
- الضوء واللون ،بحث علمي جمالي ،فارس متري ظاهر ،مطبعة دار القلم ،ط١، بيروت لبنان ،١٩٧٩.
- الفنان نظراته في الفن ،توفيق الحكيم ،دار الكتاب الجديد ،مطابع الأهرام التجارية ،١٩٧٠.

- قراءة الوعي الأدبي ،دراسات تحليلية في الأدب العربي المعاصر ،محمد مصطفى أبو شوارب ،احمد محمود المصري ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية .
- اللون النظرية والتطبيق ،شامل عبد الأمير كبة ،مطبعة الأديب البغدادية ،بغداد،١٩٩٢.
- المتخيل الشعري ،أساليب التشكيل ودلالات الرؤية في الشعر العراقي الحديث ،مجمدصابر عبيد ،منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ،دار الشؤون الثقافية العامة ،ط١ ٢٠٠٠.
- نظرية اللون ،يحيى حمودة ،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٧٩.

**-الدوريـــات**

**-المجلات:**

- دلالة الألوان عند شعراء البصرة ،صدام فهد الاسدي ،مجلة الطليعة الأدبية،العدد(٣) السنة (٣) ، ٢٠٠١.
- الصورة اللونية في شعر السياب ،شاكر هادي التميمي ،مجلة القادسية ،المجلد (٢) ،العدد(٢)،٢٠٠٢
- لغة الألوان ،شفيق جبري ،مجلة مجمع اللغة العربية ،دمشق ،المجلد(٤٢)،١٩٦٧.

**-الرسائل الجامعية :**

- الصورة اللونية في شعر ابن الزقاق البلنسي ،رسالة ماجستير، صالح ويس محمدالجحيشي ،كلية التربية ،جامعة الموصل ،٢٠٠٧.



## Abstract

The colors are carry different means which have the direct or indirect effect on the spirt . The selection of colors depends on the multi self hapes , uncontolable or minded or sensible , where the colors coming throngh with direct labels which give many meanings.

We study the concept of the color aimon in the potary group. We depend on the analytical procedure of Al- shach Jafur as following :-

-The color in potany view : The color has a role and effect in the world and selfs which carry many symbol sign . So we could cousider the color is active factor in the potary live

- Mon color (single color ):- Its mean tovse one color (single color ) in potary as white , green , red , etc
- Composed color :- Its mean to use many color in potary some times seuterce color ( five green ).